الإسْراء والمِعْراج

وقبلَ الهجرة النبوية بعام واحد - على أرجح الأقوال - وقَعتْ معجزةُ الإسراء، وقبلَ أنْ نتحدَّثَ عنْ هذه المعجزة نقرأ قصةَ الرحلة المباركة يروِيَها الإمامُ ابنُ القيِّم[1]، فيقول:

أسْريَ برسول الله ﷺ بجَسده - على الصحيح - من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبًا على البراق، وصَحبَه جبريلُ - عليهمَا الصلاةُ والسلامُ - فنزلَ هنَاك، وصلَّى بالأنبياء إمامًا، وربطَ البراقَ بحلقة بابِ المسجدِ.. ثم عُرِجَ به تلكَ الليلةَ من بيتِ المقدسِ إلى السماءِ الدنيا.

فاستفتَح لهُ جبريلُ ففُتِحَ لَه، فرأى هنالكَ آدمَ أبا البشر، فسلّم عليه، فرحَّب به وردَّ عليه السلامَ، وأقرَّ بنبوَّته، وأراه اللهُ أرواحَ الشهداء عن يمينه، وأرواحَ الأشقياءِ عن يساره.

ثم عُرجَ به إلى السماء الثانية فاستفتَحَ له، فرأى يَحْيَى بنَ زكريَّا وعيسَى ابنَ مَرْيَم، فلقيهُما وسلَّمَ عليهما، فردَّا عليه ورحَّبا به، وأقرَّا بنبوَّته.

---

(١) زاد المعاد ٢/ ٤٧، ٤٨

ثم عُرجَ به إلى السماء الثالثة فرأى فيهَا يُوسُفَ - عليه السلامُ- فسلَّمَ عليه، فردَّ عليه السلام، ورحَّب به وأقرَّ بنبوته.

ثم عُرج به إلَى السماءِ الرابعةِ، فرأى فيهَا إدريسَ، فسلَّم عليهِ ورحّبَ به وأقرَّ بنبوته.

ثم عُرجَ به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارونَ بنَ عمرانَ، فسلَّم عليه ورحَّبَ به، وأقرَّ بنبوته.

ثم عُرج به إلى السماء السادسة فلقيَ فيها موسَى بنَ عمرانَ، فسلّمَ عليه، ورحّبَ به وأقرَّ بنبوته.

فلمَّا جاوزَه بكَى موسَى، فقيلَ له: ما يبكيكَ؟ فقالَ: أبكي لأنَّ غلامًا بُعثَ من بعدي يدخلُ الجنةَ من أمَّته أكثرُ ممَّا يدخلُها من أمتي.

ثمَّ عُرج به إلى السماء السابعة، فلقيَ فيهَا إبراهيمَ عليه السلامُ، فسلَّمَ عليهِ ورحَّبَ به، وأقرَّ بنبوته.

ثمَّ رُفِعَ إلى سدْرَةَ المُنتهَى، ثمَّ رُفعَ له البيتُ المعمورُ.

ثمَّ عُرج به إلى الجَبَّار جلَّ جلالُه، فدنَا منهُ حتَّى كانَ قَابَ قوسين أو أدنَى، فأوحَى إلى عبدِه ما أوحَى، وفرضَ عليه خمسينَ صلاةً،

فرجعَ حتَّى مرَّ علَى موسَى فقالَ له: بمَ أمَرك؟ قال: بخمسينَ صلاةً. قال: إن أمَّتَك لا تطيقُ ذلكَ، ارجعْ إلى ربِّكَ فاسأله التخفيفَ لأمتكَ، فالتفتَ إلى جبريلَ كأنَّهُ يستشيرُه في ذلكَ، فأشارَ عليه أن نعمْ، إن شئتَ، فعَلا به جبريلُ حتى أتَى به الجبارَ تباركَ وتعالَى، وهوَ في مكانه - وهذَا لفظُ البخاريِّ - فوضعَ عنه عشرًا، ثم أنزلَ حتى مرَّ بموسَى، فأخبَره، فقالَ: ارجعْ إلى ربِّكَ فاسأله التخفيفَ، فلم يزلْ يتردُّ بينَ موسَى وبينَ الله عزَّ وجلَّ، حتَّى جعَلها خمسًا في العمل وخمسينَ في الأجر، فأمَره موسَى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقالَ: قد استحييتُ من ربِّي، ولكن أرضَى وأسلِّم، فلما بعدَ نادَى مناد، قد أمضيتُ فريضَتي وخفَّفتُ عن عبادي.

* * *

فلمَّا أصبحَ رسولُ الله ﷺ في قومه أخبَرهُم بما أراه اللهُ عزَّ وجلَّ من آياته الكبرَى، فاشتدَّ تكذيبُهم له وأذاهُم واستهزاؤُهم به، وسألوهُ أن يصفَ لهُم بيتَ المقدس، فجلاَّه[1] اللهُ له، حتَّى عاينَه، فطَفقَ

(١) أي كشفه له حتى رآه أمام عينيه.

يصفُه لهُم ويخبرُهم عن علاماته، ولا يستطيعونَ أنْ يردُّوا عليه شيئًا، وأخبرَهُم عن عيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرَهُم عن وقتِ قُدومها، وأخبرَهم عن البعير الذي يقدمُها. وكانَ الأمرُ كَما قالَ، فلم يزدْهُم ذلك إلا نفورًا، وأبَى الظالمونَ إلا كفورًا. ويقالُ سُمِّيَ أبو بكرٍ صدِّيقًا لتصديقِه بهذهِ الواقعةِ حينَ كذبَها الناسُ[1].

(١) انظر زاد المعاد ١/ ٤٨.